

والنيل منهم ولو قد كان أمر ابن السوداء مستنداً إلى أساس من الحق والتاريخ الصحيح لكان من الطبيعي أن يظهر أثره وكيدته في هذه الحرب المعقدة المعضلة التي كانت بصفين، ولكن من الطبيعي أن يظهر أثره حين اختلف أصحاب عليّ في أمر الحكومة، ولكن من الطبيعي بنوع خاص أن يظهر أثره في تكوين هذا الحزب الجديد الذي كان يكره الصلح وينفر منه ويكفّر من مال إليه أو شارك فيه.

ولكننا لا نرى لابن السوداء ذكراً في أمر الخوارج. فكيف يمكن تعليل هذا الإهمال، أو كيف يمكن أن نعلل غياب ابن سبأ عن وقعة صفين وعن نشأة حزب المحكمة. أما أنا فلا أعلل الأمرين إلا بعلّة واحدة، وهى أن ابن السوداء لم يكن إلا وهماً، وإن وجد بالفعل فلم يكن ذا خطر كالذى صورته المؤرخون وصوروا نشاطه أيام عثمان وفى العام الأول من خلافة عليّ، وإنّما هو شخص ادّخره خصوم الشيعة للشيعة وحدهم ولم يدخروه للخوارج لأن الخوارج لم يكونوا من الجماعة ولم يكن لهم مطمع فى الخلافة ولا فى الملك، وإنّما كانوا قوماً يثورون بكل خلافة وينتقصون على كل ملك، ويحاربون الخلفاء والملوك ما وجدوا إلى حربهم سبيلاً، ثم هم لم يكونوا حزباً باقياً متصلاً عظيم الخطر ولا سيما بعد أن انقضى عصر بنى أمية، وإنّما ضعف أمرهم وقل حدهم بعد أن تقدم الزمان بدولة بنى العباس، وبقي مذهبهم معروفاً بين المتكلمين، ولكنه اتخذ فى الحياة العملية أطواراً مختلفة قد تعرض لها فى غير هذا الجزء من هذا الكتاب.

فلم يكونوا اداً حزباً تحتاج خصومته إلى الجدل الشديد المتكلف الذي يبغّضهم إلى الناس ويزهد فيهم أصحاب التقى والورع، كما كان أمر الشيعة الذين ظلوا ينازعون الملوك والخلفاء سياسة المسلمين إلى الآن.

أما البلاذرى فقد رأينا فيما سبق من هذا الكتاب أنه لم يذكر ابن السوداء ولا أصحابه السيئة فى أمر عثمان، وهو كذلك لم يذكره فى أمر عليّ إلا مرة واحدة فى أمر غير ذى خطر، إذ جاء علياً مع آخرين يسألونه عن أبي بكر